

## مدينة القدس في الشعر العبري:

## قراءة في نماذج منتقاة

د. غانم مزعل

جامعة النجاح الوطنيّة - نابلس/فلسطين

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة انعكاس صورة مدينة القدس في الشعر العبري عند الشعراء اليهود في الخارج قبل العام 1948 - أي قبل قيام دولة إسرائيل - وصورتها بعد العام 1948 عند الشعراء في إسرائيل. هذا البحث يركز على إبراز الفوارق في الرؤية بين الفترتين، والإشارة إلى الدوافع والأسباب لتلك الفوارق. ويحاول البحث التطرق إلى دوافع توظيف التراث اليهودي التوراتي، والتركيز على الذاكرة اليهودية في الفترة الأولى، وكيف وظفت الحركة الصهيونية فيما بعد هذا الشعر لخدمة أهدافها السياسية، وإنجاح برامجها لإقامة كيان قومي للشعب اليهودي، والتأكيد على الحق اليهودي في فلسطين. كذلك يحاول البحث إبراز التحول الذي طرأ عند شعراء الجيل الجديد بعد عام 1948، وتحررهم من الرؤية الدينية التوراتية - أحادية الرؤية - السالفة، بعد اصطدامهم بصخرة الواقع، والحروب الإسرائيلية العربية، والشرح في المجتمع الإسرائيلي بين المتدينين والعلمانيين، وبين اليمين واليسار، وبين اليهود والفلسطينيين، الأمر الذي أدى إلى العزوف عن تقديس المكان والحجر، وعن فكرة أرض الزبدة والحليب والعسل، واللجوء إلى الاحتجاج، وجلد الذات، والاعتراف بوجود شعب آخر على هذه الأرض، هو الشعب الفلسطيني.

## Abstract

This paper has sought to study the reflection of Jerusalem city image in Hebrew verse among Jewish poets abroad before 1948, before the establishment of Israel, and its image after 1948 among poets in Israel. The paper focuses on highlighting the differences in image between the two eras and the reasons behind these differences. The researcher examined the motives behind employment of Torah Jewish heritage and the focus on the Jewish memory in the first era. He also highlighted Zionist

movement's use of this poetry to serve its political agenda and realize its ambition to establish a national entity for the Jewish people and emphasize the right of Jews in Palestine. Furthermore, the researcher tried to highlight the change of attitude among the then new generation of poets after 1948 after liberating themselves from the biblical religious vision- a unilateral vision- after "crashing head on" with the reality, the Arab –Israeli wars, and the division in the Israeli society between the religious people and the secularists, between the right wing and leftist wing followers and between the Palestinians and Jews. All this has forced the then new generation to shun sacredness of the place and stone and the idea of the land of butter , milk and honey. This generation has resorted to self-flagellation and to recognition of the existence of another people on this land: the Palestinian people.

### تمهيد:

مدينة القدس مقدسة في الديانات السماوية الثلاث على مرّ العصور، وإلى القدس تنظر ملايين العيون في العالم. إنها المكان الوحيد على الكرة الأرضية المقدّس لكلّ الديانات السماوية. وهي محفورة عميقا في ذاكرة البشر. ومنذ العام 1948 أصبحت قضيةً ومعادلة سياسة صعبة الحلّول في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. وقد زاد الأمر تعقيداً وحِدّة بعد حرب العام 1967. إن قدسية مدينة القدس في التراث اليهودي تنبع من قدسية "جبل الهيكل" المكان الذي أُقيم عليه الهيكل الأول والثاني، حيث كان محفوظاً "تابوت العهد" (أرّون هَبْرَيْت). وتابوت العهد يحتوي على الوصايا العشر، التي أنزلها الله على النبي موسى. وتعد الوصايا العشر أهم الوصايا التي نزلت على بني إسرائيل، وهي موجودة في العهد القديم. وهي في مجملها مبادئ أخلاقية وإنسانية وضميرية عالمية، وهي موجودة في الإسلام والمسيحية أيضاً وهي: العدل، وحدانية الله، لا تتخذ لك صنماً، لا تقسم باسم الله باطلا، لا تقتل، لا تزّن، لا تسرق، أكرم أباك وأمك، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته زوجة جارك<sup>(1)</sup> وهناك روايات أخرى جاءت لدعم قدسية القدس<sup>(2)</sup> ونذكر منها قصة اختبار الله لإبراهيم في ذبح ابنه. فحسب الفكر اليهودي الأسطوري، فإن تقديم إسحق أضحية كان يجب أن يحدث في جبل "هموريا" الواقع في أكناف بيت المقدس<sup>(3)</sup> وكذلك المكان الذي التقى فيه إبراهيم مع ملك المدينة وبارك إبراهيم<sup>(4)</sup> ومنذ خراب الهيكل ترسخت القدس في الذاكرة الجماعية اليهودية. وقد

ظهرت إثر ذلك طقوس تُدَكِّر اليهودي بالخراب منها: دُرُّ الرَّماد على رأس الخطيب وخطيبته يوم الرِّفاف، وكسر الكأس وغيرها<sup>(5)</sup> إن بعض هذه العادات موجودة عند بعض الشعوب السامية الأخرى، ولا تقتصر على اليهود فقط. إنَّ المزار "حائط المبكى" (البُراق) المقدس عند اليهود، الذي يتوافد اليهود إليه للصلاة، هو حسب الرواية اليهودية بقايا السُّور الذي أحاط الهيكل.

وحيث يُصَلِّي اليهودي فإنَّه يوجِّه وجهه شطر القدس، ويذكرها مراراً في صلاته، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك فرقاً كبيراً بالنسبة لرؤية الحل النهائي لقضية القدس بين الفئات اليهودية المتدينة والعلمانية. ومدينة القدس تشكل موتيفاً في الأدب اليهودي والعبري القديم والحديث ومن جوانب مختلفة، كما هو الأمر في الأدب العربي والإسلامي، والمسيحي؛ "السنة القادمة في أورشليم" هذه هي التَّحِيَّة الشائعة والمألوفة، التي كان يُحْيِي بها اليهودُ بعضهم في المهجر يوم عيد الفصح (والمعروف أيضاً عندهم بـ "عيد الحرية")، منذ السبي البابلي، وحتى قيام دولة إسرائيل. هذه الجملة لها دلالتها، إذ تَدُلُّ على الرغبة والإيمان بالعودة إلى مدينة صهيون، أورشليم يوماً ما. وفي نظر اليهودي المتدين والعلماني تشكل القدس مركز الروحانيات للإنسان اليهودي، وانعكاساً لتطلعاته أينما وُجِد. فقد ورد في سفر "تهيليم" ما يأتي:

على أنهر بابل هناك جلسنا وأيضاً بكينا عندما تذكرنا صهيون  
وعلى الجداول في وسط المدينة علقنا قيثاراتنا...  
كيف نغني أغنية الله على أرض الأجنبي  
إذا أنساك أورشليم فلتنس يميني،  
ولتلتصق لساني إلى حلقي إذا لم أذكرك،  
وإذا لم أضع أورشليم في أولويات فرحي...<sup>(6)</sup>

هذه القراءة التي يفتح بها المصلي اليهودي صلاة التاسع من شهر آب، في ذكرى خراب الهيكل. هذا اليوم عندهم هو يوم صوم، ويوم حزن. يجد القارئ في هذه الفقرة وصفاً

لوضع اليهود في المنفى إثر السبي البابلي، حيث نرى أن الفقرة مفعمة بالثناء والنحيب لفقدان صهيون، المرادفة لأورشليم، وأن الفرحة قد فارقت يهود المنفى، لذلك فقد علّقوا القيثارات وعزفوا عنها، بعدما كانت رفيقاً لهم. كما نلاحظ القسّم/الميثاق الذي قطعه اليهودي على نفسه ألا ينسى أورشليم: "إذا أنساك أورشليم فلتنس يميني."

لقد وردت كلمة "أورشليم" في التوراة ستمئة وتسعا وستين مرة، ويهوديوت وصهيون مئة وأربعاً وخمسين مرة، أي بمجموع ثمانمئة وثلاث وعشرين مرة. أما في العهد الجديد فقد تكررت كلمة "أورشليم" مئة وأربعاً وخمسين مرة، وكلمة "صهيون سبع مرات"<sup>(7)</sup> وحسب الكتابات اليهودية يوجد سبعون اسماً للقدس على الأقل. وتشكل القدس "عودة الروح للشعب اليهودي"، إذ هي في الفكر اليهودي المركز الديني والروحي والقومي على مّرّ العصور. الملك داوود هو الذي أعلن عنها عاصمةً لمملكته قبل أكثر من ثلاث آلاف سنة، وبعد داوود جاء سليمان ليبنى الهيكل. تجدر الإشارة إلى أن شيلو، وبيت-إيل، ونابلس كانت المراكز للطقوس الدينية اليهودية قبل القدس.

إن الحنين إلى صهيون، القدس ينعكس عند اليهودي في: الصلاة، وفي الرّسم، وفي الشعر، وفي الحج. ونجد كثيراً من الحجاج اليهود المتقدمين في السن، كانوا يأتون إلى القدس رغبة منهم في الموت في القدس - صهيون من أجل أن يُدفنوا بها<sup>(8)</sup>

الحركة الصهيونية وليدة القرن التاسع عشر، هي حركة علمانية، لكنها استمدت الكثير من التراث اليهودي التوراتي، وسخرته لخدمة أهدافها لتجد لغة مشتركة مع التيارات الدينية. إن معظم الحركات القومية قد نشأت على الأرض التاريخية حيث تعيش الشعوب، وإن علاقة هذه الشعوب مع الأرض لم يكن يساورها أيّ شك، في حين أنّ البتر بين الشعب اليهودي وبين الأرض بعد السبي، قد أثار أسئلة وعلامات استفهام كثيرة بين اليهود أنفسهم، بصدد العلاقة بين الرغبة في التحرر القومي وبين الأرض؛ أرض إسرائيل، وبعد أن قرّرت الحركة القومية اليهودية أن أرض إسرائيل، الوطن الماضي، هو وطن المستقبل، فقد أخذت ترسخ هذه العلاقة في الذاكرة وفي الحنين إلى الماضي الغابر إلى أورشليم؛ صهيون. وعندما انقطع الرابط بين معظم الشعب اليهودي والأرض، فقد حل مكانها الرابط الديني، وأصبح

الرابطة الوحيدَ بين الشعب والأرض، وهذا الرابط تمحور في صهيون، وهي مدينة أورشليم، مدينة الملوك - حسبهم - مدينة الهيكل، مدينة داوود، البوابة إلى الجنة "القدس العليا". ومنذ خراب الهيكل الأول اقترن اسم صهيون / أورشليم بالحنين اليهودي والعودة: "على أنهر بابل، هناك جلسنا وبكيننا عندما تذكرنا صهيون"<sup>(9)</sup> يتوجه الإنسان اليهودي إلى صهيون/ أورشليم ثلاث مرات في اليوم في أثناء صلاته. إن الحنين إلى صهيون "والعودة إلى صهيون" العاصمة التاريخية، عاصمة ملوك إسرائيل - حسب المعتقدات اليهودية - حيث تواجد الهيكل، دفع اليهود على مرّ التاريخ، ومنذ الخراب إلى إقامة مركز ديني متواصل في صهيون، القدس لتعليم الديانة اليهودية، وذلك لتجسيد الميثاق، والعلاقة، والتواصل التاريخي المستمر بين اليهودي والمكان - القدس. لقد عرفت الحركة القومية اليهودية الحديثة كيف تستغلّ الذاكرة التاريخية، والحنين إلى صهيون، والرابطة الديني، حيث أخذت اسماً لها يمثل هذه العلاقة ومشتقاً من اسم المدينة صهيون وهو "الحركة الصهيونية". كما أن معظم الجمعيات اليهودية التي أقيمت في القرن التاسع عشر شكلت كلمة "صهيون" جزءاً من اسمها (بدأ اسم الحركة لها منذ عام 1890). القدس (صهيون) في الفكر اليهودي والوعي اليهودي الفردي والجماعي هي المدينة "الأبدية" للشعب اليهودي، على الرغم من كونها مدينة جريح على مرّ العصور. ولها مكانة خاصة ومركزية في نفس كل يهودي في المهجر.

ومع مرّ الزمن أصبحت صهيون مرادفة/ لأورشليم/ لإسرائيل. وصهيون/ أورشليم شكّلت موتيفاً عند الكتاب اليهود في المهجر، وفيما بعد عند الكتاب العبريين الجدد، أي بعد قيام دولة إسرائيل عام 1948. صهيون/ أورشليم كانت عبارة عن شعلة، وشكلت موتيفاً في قصائد يهود المهجر، تشهد على ذلك هي مئات القصائد التي كُتبت حول صهيون/ القدس، ونجد أنّ الموتيفات المركزية المتكررة في هذه القصائد تتمحور حول التركيز على العلاقة القديمة والزاسخة، التي لا تُزحج بين اليهودي في أماكن تواجده المختلفة وبين صهيون/ أورشليم والحنين، واللوعة، والتعبير عن الرغبة في العودة إلى صهيون/ أورشليم،

ووصف البعد الجغرافي، وطلب البشائر، والتركيز على إبراز المفارقات بين الحياة في الخارج وفي صهيون.

لقد استمدّ الشعراء الأوائل مصطلحاتهم من التوراة، ومن الصلاة، ومن الأغاني، حيث شكّل كلٌّ من "حائط المبكى، والهيكَل، والحج إلى القدس، والحنين، والعودة، والوفاء، وحلم بناء المدينة من جديد موتيفاً، ورافداً، ومادّةً لتغذية كتابة الأدباء، وفيما بعد تحول جزء كبير من القصائد إلى أغاني تُلحّن من أجل ترسيخ الذاكرة.

صهيون، القدس في الأدب العبري تمثل انعكاساً لتطلعات اليهود في العالم، فهي تمثل الإنقاذ، وأخلاقيات الشعب اليهودي، وعودة الروح، والجمال والأخلاقيات، واستمرارية الشعب اليهودي، وقلب الشعب، وحرية العبرانيين، والقدسية والكمال، ومصدر الطهارة، وأرض الأنبياء، ونقطة التواصل بين الرب وبين شعب إسرائيل، ومركز الإنسان اليهودي، وانتصار إسرائيل، ومركز الروحانيات، ومدينة السلام، والمدينة الأزلية، وقد آمن اليهود في الخارج بهذه العقيدة، وسخروا كتاباتهم من أجلها. من هنا فالشعر العبري سابق للحركة الصهيونية. وفيما بعد استخدمت الحركة الصهيونية هذا الشعر (شعر بيالك، تشارنيحويسكي، يهودا هليبي، اوري جرينبرج...) لخدمة أهدافها السياسية، ليكون زخماً ومحركاً قوياً لبرامجها وشعاراتها. إن مواكبة الأدب لبرنامج سياسي ما، يُسهم كثيراً في إنجاحه، وهذا ما يتمناه كل سياسي، وكل حركة قومية تطمح إلى إقامة بيت قومي لشعبها. تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ الشعب الفلسطيني أيضاً يوظف الأدب بأنواعه وأجناسه، والثرث، والذاكرة من أجل إقامة وطن وبيت للشعب الفلسطيني (درويش، القاسم، حبيبي، كنفاني، طوقان...).

أما في الشعر العبري الحديث، فنجد حضوراً آخر للقدس، وهذا أمر مفهوم ومفروغ منه، وذلك لبداية مرحلة جديدة في حياة الشعب اليهودي، وهي إقامة الدولة، والحصول على علم، وجمع الثنات، فالنغمة في الشعر تبدو مختلفة جداً، فبدلاً من نغمة الحنين، واللوعة، والعلاقة التاريخية، ووصف القدس عن بعد دون العيش بها، اعتماداً على ما ورد من أوصاف في الكتب القديمة، أو الغيبات، تظهر القدس على حقيقتها؛ فالشاعر يعيش فيها،

ويتجول في ساحاتها وشوارعها وأزقتها، ويلمس حجارتهما، ويتوافد إلى المقاهي، ويحتك بسكانها ويعايشهم. من هنا فهو يصف الواقع ولا يصنعه أو يتخيّله، فقد تحرّر من قيود الالتزام بإقامة بيت للشعب اليهودي، لذا فلا نجد لوناً واحداً مسيطراً كما وجدناه في الشعر العبري في الخارج. حيث يجد القارئ القدس بأشكال مختلفة: تكتظ بالسّيّاح، مقسمة جغرافياً بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ممزقة اجتماعياً وسياسياً، جريحا، تنزف دمًا، مدينة حجارة<sup>(10)</sup>.

إن توظيف التراث الديني التوراتي، والتاريخ اليهودي في الأدب العبري الحديث، جاء للبيان والتأكيد على الحق اليهودي في البلاد. ويمكننا في هذا الصدد الوقوف عند بعض النماذج الشعرية البارزة:

### يهودا هليبي (1075 – 1140) المعروف في العربية بأبي الحسن اللاوي

يعبر عن حنينه للقدس في قصيدة "قلبي في الشرق"<sup>(11)</sup>

قلبي في الشرق وأنا في أقاصي الغرب

كيف سأذوق طعامي وكيف سأستلذ؟

كيف سأقيم ندوري والمحرمات، حيث

صهيون في أرض أدوم، وأنا في أغلال العرب؟

فمن السهل عليّ ترك ملذّات إسبانيا، كما

أنه غالٍ عليّ أن أرى رماد الهيكل الحَرَب

تصف هذه القصيدة حال الإنسان اليهودي خارج صهيون/ القدس، فمن الناحية الفعلية، فالمتحدث في إسبانيا، أما من الناحية العاطفية والروحانية فهو في القدس؛ مدينة رفات الآباء والأجداد وأنبياء إسرائيل، وهو مفعم بالحنين والشوق للقدس، ويودّ لو استطاع وصولها لأداء الفرائض الدينية، فعبر الكلمات (الغرب والشرق) يريد أن يظهر التناقض بين الشرق الروحاني والغرب المادي والمكّبل. وحسب المصادر التاريخية، فقد وصل يهودا هليبي بحرا عبر الإسكندرية إلى القدس وتوفي فيها<sup>(12)</sup>

ويبدو الشاعر ناكرا جدًّا للجميل حينما يقول: "وأنا في أغلال العرب" حيث كان اليهود يعاملون في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس بالعدل، وكانوا يفضلون حكم المسلمين على النصارى، وحصلوا على الحرية الدينية والفكرية، وشاركوا في النهضة العلمية والفكرية والنشاطات الاقتصادية كافة، كما أن المسلمين سمحوا لهم بالسكن في المدن الأندلسية، وكذلك السكن خارج الحي اليهودي بعد أن حرّمهم "القوت" من ذلك، كما أتيحت لبعضهم فرصة تأدية أعمال ومهمات لصالح الدولة، وعمل بعضهم في بلاط الخلفاء، وكذلك أوكل لرجال اليهود جمع الجزية من اليهود، وخدمة اليهود خارج الأندلس، دلالة على الثقة بهم.

وفي قصيدة "لكِ نفسي مطمئنة"<sup>(13)</sup>

... كيف ينسى يهودا يهودا؟

ونستخفّ ذلك مقابل محبتك

إلى أن أصل بوابتك شاكر

وأسكن هناك، وأختار قلبي

على مذبحك أضحية مربوطة

وأحفر قبوري في أرضك

لكي يكون لي شاهدا

يتساءل المتحدث يهودا، وهو الشاعر نفسه يهودا هليبي، أسئلة إنكارية، هل من الممكن أن ينسى أرض يهودا/ القدس؟ إنه يريد الوصول إلى هناك، وهذا هو مأربه الوحيد من أجل أداء الفرائض الدينية، أو من أجل الموت هناك، لأن القدس هي البوابة إلى السماء، بوابة جنة عدن لكل يهودي. ويصف المتحدث شعوره حين وصوله إلى أرض الميعاد/القدس؛ ذلك الشعور الخاص؛ شعور الاضطراب والخشوع، الذي لا يشعر به اليهودي إلا في القدس. الشعر العبري الذي كُتِب في الأندلس، والذي يصف العلاقة التاريخية بين اليهود ومدينة القدس، ويعبر عن الشوق الشديد، والدافع القوي، والأمل للوصول إليها، يشكل



جنساً أدبياً مميّزا في هذا الشعر. وكانت عند اليهود في أوروبا عادة متوارثة، خاصة عند كبار السن من اليهود، وهي القدوم إلى القدس لكي يحظوا بالموت بها، والدفن فيها. وكل ذلك ليكونوا من بين الأوائل لمقابلة المسيح المنقذ، حينما يأتي إلى القدس حسب اعتقادهم، ونجد جذورا لهذه العادة في التلموذ البابلي: "قال الرّابي عنان: كلّ من يُقبر في أرض إسرائيل هو مقبور تحت المذبح"<sup>(14)</sup>

### إلى العصفورة<sup>(15)</sup>

حاييم نحمان بيالك (1873-1943)

تحيّة إليك يا عصفورة جميلة  
 عُدتُ إلى نافذتي من البلاد الحارة  
 لشدوك الرقيق كم صَبَّوْتُ، كم حَنَنْتُ،  
 في وحشة الشتاء، بعدما هجرت حارّتيّ  
 ترغمي، تحدّثي، عصفورتيّ عزيزتي  
 عما بتلك الأرض من عجائب غرائب  
 وهل بهاتيك الربوع الحارة الجميلة  
 هناك أيضا تكثر الأرزاء والمصائب؟  
 ترغمي، عصفورتيّ، وحدّثي عجائبنا  
 من بقعة يزدهر الربيع فيها أبدا  
 ترغمي عصفورتيّ، تحدّثي عن موطنٍ  
 عاش ومات في ربوعه جدودي السالفون

نشرت هذه القصيدة لأول مرة عام 1891 بمدينة أوديسا في أوكرانيا. يظهر في هذه القصيدة الحنين إلى صهيون. ويركز الشاعر - شاعر القومية اليهودية - على العلاقة التاريخية

ما بين اليهود في الخارج وصهيون، مستعملاً مصطلح "موطن"، كما يدل على العلاقة القوية، التي لم تنقطع بين اليهودي والأرض، والعمل في الأرض، لأن مثل هذا العمل له قدسيته في الديانة اليهودية. ويصف الشاعر البلاد عن بعد، دون أن تطأها قدماءه، مستمداً وصفه مما ورد في التوراة، حيث وُصفت ببلاد اللوز والنخيل، على العكس من أوصاف محمود درويش - شاعر فلسطين الموازي لبيالك - المستمدة مما تراه العين ويستنشقه الأنف، حين تحدّث عن الزعتر، والميرمية، والزيتون، والسنديان. ويقارن الشاعر بين وضعه المأساوي في الغربية، حيث المصائب والأرزاء، والمطاردة من قبل الأجنبي المسيحي، وبين وضع اليهود الجيد في صهيون، ويود أن يكون في صهيون. ظهرت أوروبا في شعره لا سامية معادية للإنسان اليهودي، لكونه يهودياً، حيث استعمل مصطلح: "حقود" على وزن فَعُول. ووصف فلسطين بالبلاد الحارة، للدلالة على الدّفء الداخلي؛ أي حب اليهودي لليهودي. يدعو الشاعر اليهود - وخاصة الشباب منهم - إلى الهجرة إلى فلسطين مستعملاً أسلوب "العصا والجزرة" أو "الترغيب والترهيب"، لأنه لا مستقبل لليهودي - حسب ما يرى - في أوروبا المسيحية المطاردة، فإذا أراد اليهودي الحياة، والحفاظ على ذريته، فيجب عليه الهجرة فوراً قبل فوات الأوان.

فالشاعر اليهودي بيالك يرى في فلسطين وطنه القديم - الجديد. ويشكل شعره قمة الإنتاج العبري على مرّ العصور. وقد نالت قصائده إعجاباً واحتراماً لدى اليهود. وبالرغم من كونه من مواليد أوروبا، إلا أنه لا توجد علاقة نفسية تربطه بها. لذا فقد هاجر إلى فلسطين، وقد كُتبت هذه القصيدة قبل هجرته إلى فلسطين، وهي قصيدة شوق يفضي بحديثه إلى العصفورة التي يتخيل أمها عائدة من فلسطين، ويتمنى الحصول على جناحين ليطير إلى فلسطين. فالعصفورة ترمز إلى الحرية وهي ترمز لليقظة اليهودية ولليهود في فلسطين، على العكس من يهود المهجر.

إن وصف أرض فلسطين يتكرر من بداية القصيدة وحتى نهايتها، مع ما تحويه من جمال مقابل قبح الغربية. ويثير المتحدث سؤالاً مهماً مفاده: إلى أين وُجّه الشعب اليهودي في ظلّ الإحباط اليهودي؟ تجدر الإشارة أنه لا يوجد ذكر للشعب الفلسطيني الذي يسكن البلاد،

وهذا تطبيق للمقولة الصهيونية "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" المتحدث يدعو إلى القيام بعمل دراماتيكي تاريخي من أجل إحداث تغيير تاريخي في حياة الشعب اليهودي. إن عالم اليهودية لا يتماثل مع عالم المكان أو مكان العالم، فالهوية الإسرائيلية الحديثة انطلقت أساساً من الفكرة الصهيونية والتي في جوهرها تعتمد على فكرة العودة. فبإلزامك يعتمد هنا على ركائز توراتية دينية لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. إن الإنسان اليهودي بين المكان وبين العالم، لذلك فمصطلح مكان الولادة لا يعني شيئاً لليهودي، إذ إن الفكرة هي التي تقرر المكان.

مدينة بابل التي تحكي قصة السبي اليهودي، التي شكّلت موتيفاً في الأدب العبري، نجدها عند محمود درويش تحكي حكاية السبي الفلسطيني في بقاع العالم، ففي حين أننا نجد في الشعر العبري أن الإنسان اليهودي يحنّ إلى القدس، نلاحظ عند درويش أنّ المكان "القدس" يحنّ إلى الإنسان الفلسطيني، ويناديه إلى العودة إليه لجمع الشتات الفلسطيني، فالمكان لم ينس الفلسطيني الذي غادره منذ زمن قصير فقط، في حين أنه لا يتذكر الشعوب السابقة، وهذا دلالة على العلاقة المتينة بين المكان والفلسطيني:

وتغني القدس<sup>(16)</sup>

يا أطفال بابل

يا موالد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

قريباً يصبح الدمع سنابل

آه يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً، وقريباً تكبرون

وقريباً، وقريباً، هللوا هليلوا

نجد هنا تبادل أدوار بين اليهودي والفلسطيني؛ فالفلسطيني يأخذ مكان اليهودي التائه، وهو يحنّ إلى وطنه، ووطنه يحنّ إليه، ويجدوه الأمل المحتم بالعودة، كما كان الأمل يحدو تشارنيحوبسكي وبيالك وإمبير وغيرهم.

نوعمي شيمر (1930-2004) (17)

### القدس من ذهب

طقسُ جبالٍ جاف كالنبيد

ورائحةُ صنوبرٍ

محمولةٌ برياح ما بعد الظهيرة

مع صوت أجراسٍ

عند لثوم شجرة بلوط وحجر

مأسورة مجلمها

تجلسُ المدينةُ المعزولةُ

وفي قلبها سرور

القدسُ من ذهب، من فضةٍ ومن نورٍ

ها أنا قيثارةٌ لكل أشعارك

كيف جفّت آبارُ المياهِ،

ساحةُ السوقِ خاليةٌ

لا أحدَ يزورُ جبلَ الهيكلِ ...

كتبت نوعمي شيمر هذه القصيدة أسابيع قليلة قبيل حرب حزيران عام 1967 - حين كانت المدينة مقسمة - وذلك تلبية لطلب رئيس بلدية القدس تيدي كولك بمناسبة احتفال في المدينة، وقد كان توحيد المدينة بعد حرب حزيران 1967 دافعاً لإضافة بعض الأبيات للقصيدة على يد الشاعرة. لقد لاقت القصيدة رواجاً وقبولاً عند الجمهور الإسرائيلي، وأصبح الشارع الإسرائيلي يغنيها، حيث تصف القصيدة الشطر العربي - الشرقي

من المدينة، حين كان يخضع للحكم الأردني، بأنه حزين وخال من الحياة، حيث أزيز الرياح، وذلك بعد نزوح اليهود منه: "كيف جفت الآبار، ساحة السوق خالية .... وفي المغائر الصخرية تنوح الرياح .... لا أحد ينزل البحر الميت في طريق أريحا..". وتركز نوعمي على التراث اليهودي في المدينة، وكيف أن اليهود حرموا خلال فترة طويلة من زيارة أماكنهم المقدسة - حائط المبكى - لأداء فرائضهم الدينية، وكذلك زيارة المقابر حيث قبور الآباء والأجداد<sup>(18)</sup>. وتتجاهل نوعمي شيمر مع سبق إصرار الوجود العبري عميق الجذور في المدينة، مخالفةً بذلك معظم الشعراء العبريين الذين يقرون بالوجود العبري بالرغم من الصراع والخلاف بين الشعبين.

### راعٍ عربي يبحث عن جدي<sup>(19)</sup> يهودا عميحاي (1924-2000)

راعٍ عربي يبحث عن جدي في جبل صهيون  
وفي جبل مقابل أبحث أنا عن ابني الصغير  
راعٍ عربي وأب يهودي  
في فشلهم المؤقت  
البحث عن جدي أو عن ابن  
كان دائما  
بداية ديانة جديدة في هذه الجبال  
صوتانا يلتقيان فوق  
بركة السلطان في المرج في الوسط  
إثنانا لا نريد أن يدخل الابن والجدي إلى مسار  
الآلة المخيفة حاد جاديا  
بعد ذلك وجدناهما بين الشجيرات

## وعادت أصواتنا إلينا وبكت وضحكت في الداخل

عاش يهودا عميحاوي معظم حياته في القدس، وأحب المدينة كثيراً، لذلك نجد حضوراً بارزاً للقدس في شعره، لقد كتب أكثر من 150 قصيدة عن القدس. إن الطابع العلماني، وليس الديني، هو المسيطر على شعر عميحاوي<sup>(20)</sup>، فالتاريخ وعلم الآثار لا يعني له الكثير، بالرغم من توظيفه التاريخ وعلم الآثار. إنّ التاريخ وعلم الآثار يعني الكثير للحركة الصهيونية، وللسياسيين وللكتاب القوميين، الذين يريدون أن يكون الإنسان عبداً ومطية للماضي السحيق ولخدمة الأساطير. في نظر عميحاوي، الإنسان ضحية التاريخ، وعلم الآثار، ومن الأجدر أن يكون الإنسان أهمّ من التاريخ ومن علم الآثار<sup>(21)</sup>. هذه القصيدة كُتبت بعد العام 1967. وعلى العكس من قصيدة نعمي شيمر، تشير إلى وجود كلّ من العبري واليهودي في جبل صهيون، وكلّ منهما يبحث عن ضالته، وكلّ منهما يحاول جاهداً أن يجد ما فقده. القصيدة تظهر الإحباط المسيطر على الطرفين من جهة، والشوق القوي للحياة من جهة أخرى. الحياة ترمز إلى أن الشعبين: الإسرائيلي والفلسطيني سيصلان في النهاية إلى الشيء المفقود، وهو السلام. إن البحث الجاد والمتواصل من قبل الاثنين أوصلهما إلى الابن وإلى الجددي مجتمعين بين الشجيرات. إنها قصيدة تعكس التعطش للسلام. يعلق بروفيسور جرشون شاكيد (أستاذ الأدب العبري الحديث والتّقد في الجامعة العبرية) على هذه القصيدة قائلاً: ... أبوان من أطراف متعادية يهتمان بنسلهما - أو ما يشبه النسل - ذاك النسل الذي لا حول له. من الممكن أن يصلا إلى المصالحة، لأن الحب الحقيقي يتغلب على الكراهية. كل من الأبوين يحاول فكّ أسر محبوبه من المصيدة المخيفة. إن كلا من الأبوين مشحون بمحبة إنسانية لابنه. وهما اللذان باستطاعتهما تخلصنا<sup>(22)</sup>. يتميز شعر عميحاوي بأنه لم يطبّل للحرب ولم يمدحها، وهو ضد استغلال الإنسان وتسخيره للحرب باسم دوافع وأهداف قومية، إنه يرى الحرب عبر عيون الجرحى والأموات والأرامل والثكلى<sup>(23)</sup>. لا شك أن القصيدة تدعو إلى بداية جديدة: الدّعوة للسلام ومناهضة الحرب، وتعترف بحقوق الآخر

وإنسانية الآخر، فكل من اليهودي والعربي مطارد بأشكال مختلفة، و فقط، المصالحة بين الطرفين ستضع حداً لذلك.

يُعدُّ شعر عميحي شعر احتجاج واعتراض على المفاهيم الدينية والسياسية والأيدولوجية المسيطرة عند الطبقات القيادية المسيطرة في إسرائيل. وعبر شعره الذي يتحدث عن القدس يريد الاعتراض على بعض الأساطير اليهودية والإسرائيلية<sup>(24)</sup> نجد هنا العمل المشترك بين الطرفين من أجل الوصول إلى هدف مشترك، وهو إنقاذ الضائع/المفقود. وتلتقي هذه القصيدة مع رواية عاموس كينان "في الطريق إلى عين حارود/جالود" حيث يلتقي بطريق الصدفة الفلسطيني محمود من الطيرة باليهودي من يافا، وكل منهما هاربٌ وباحثٌ عن التّجاة، إثر انقلاب دمويّ قامت به مجموعة يهودية يمينية متطرفة في الدولة اليهودية. ومن أجل إنقاذ نفسيهما يعملان سوياً في البحث عن سُبُل للخلاص.

#### قصيدة " رائحة البنزين في أنفي " عميحي<sup>(25)</sup>

رائحة البنزين في أنفي

سأضع روحك، أيتها الفتاة، في كفي،

كالأترج داخل صُوف ناعم، أيضاً أبي المتوفى هكذا فعل

انظري فشجرة الزيتون انفكت تتعجب

هي تعلم وجود فصول ويجب أن تسافر،

امسحي وجهك وقي بجاني

وابتسمي كما في صورة عائلية

حزمتُ قمصاني وحزني

لن أنساك، فقد كنت فتاة أحلامي

الأخيرة قبل المكان، الخلاء،

حيث لا توجد بها شبابيك وبها حرب فقط

القصيدة مفعمة بالحزن من بدايتها وحتى نهايتها. إنها تصف أجواء الحرب التي تعيشها إسرائيل منذ قيامها. فالإسرائيلي مُرهق في أعماله وهمومه اليومية، وفجأة يُدعى لحرم

أمتعته والالتحاق بالخدمة الاحتياطية في جبهة القتال. ولكنه لا ينسى أن يُودّع الأحبة، الذين من المحتمل ألا يراهم بعد، ومن بينهم الحبيبة، حيث يحاول إقناعها بقبول الواقع المرّ. هذا الوضع غير طبيعي في نظر المتحدث، فهو يتساءل باحتجاج: هل هذا هو قدر الشبيبة الإسرائيلية المحتوم؟ ألا بُدّ يأكلون الحراب؟ ألا يحق للشباب الإسرائيلي أن يمارس حياة طبيعية كباقي شباب العالم؟ متى سيوضع حدّ لهذا المسار؟ هذه أسئلة بحاجة إلى إجابة سريعة من قِبَل صنّاع السياسة في إسرائيل، ولذا فإنّ هذه القصيدة احتجاج ضد الحرب ودعوة للسلام.

الأمل<sup>(26)</sup>

### نفتالي امبر (1875-1943)

طلما في القلب عميقا  
 نفسٌ يهوديةٌ نائرة  
 وإلى صهيون ترتقب  
 لم نفقّد أملنا بعد  
 الأملُ المتكرّرُ  
 العودةُ إلى أرضِ آبائنا  
 إلى المدينةِ التي تَوَقَّفَ بها داوود  
 وبين خرائبِ القدس  
 ما زالت بنتُ صهيون تبكي  
 لم نفقّد الأمل  
 طالما دموعُ طاهرةٌ  
 من عينِ ابنةِ شعبي تُدرِفُ  
 وتبكي لصهيون برأسٍ منحن

كتبت هذه القصيدة في رومانيا عام 1878، ونشرت لأول مرة في كتاب في العام 1886. وقد أُلقيت لأول مرة أمام جمهور مزارعين في مدينة ريشون- لتسيون. السؤال هنا



هل جاء إلقاء القصيدة صدفة أمام المزارعين وليس أمام السياسيين، أم مقصوداً للدلالة على العلاقة القوية منذ القدم ما بين الإنسان اليهودي والأرض؟ وفيما بعد أصبحت هذه القصيدة النشيد الوطني لدولة إسرائيل بعد إجراء بعض التغييرات عليها. تركز هذه القصيدة على أن القدس - صهيون منحوتة عميقاً في الذاكرة اليهودية. وأن الأمل والحلم بالعودة لم يفارقا اليهودي في الخارج ولو للحظة واحدة، وأن هذه هي وصية الآباء للأبناء. إن التعطش والشوق للحرية والعودة يواكبان القصيدة من بدايتها وحتى نهايتها. إنها لوحة تسطر التاريخ والحلم اليهودي. ولن يشعر اليهودي بالحرية والاستقلال والكيان، وبكونه أمة إلا في القدس<sup>(27)</sup>. النشيد الوطني "هتكفا - الأمل" يثير بين الفينة والأخرى جدلاً واسعاً بين جماعات من العرب في إسرائيل، وبين جماعات يهودية، ونذكر على سبيل المثال، ما حدث إثر رفض بعض الطلاب العرب من كلية الحقوق من جامعة حيفا إنشاد النشيد الوطني في حفل التخرج. وكذلك عندما امتنع قاضي المحكمة العليا العربي سليم جبران عن إنشاد هذا النشيد. تجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من القضاة اليهود قد دافعوا عن القاضي جبران إثر النقد الذي وُجّه إليه. ومن أبرز المدافعين عنه نذكر قاضي المحكمة العليا المتدين إليكم روبنشتاين. كذلك فقد تفهم رئيس الحكومة نتانياهو موقف القاضي جبران، الأمر الذي فاجأ الكثيرين.

رئيس بلدية<sup>(28)</sup>

يهودا عميحي

حزين أن تكون

رئيس بلدية القدس

مخيف هو الأمر

كيف يكون إنسان رئيس بلدية كهذه

ماذا يفعل بها

يبني ويبني ويبني

وفي الليل تقترب حجارة الجبال من حولها  
إلى البيوت  
مثل الذئب القادمة لتعوي على كلاب  
أصبحت عبيداً للبشر

إن رئيس البلدية المشار إليه هنا هو تيدي كولك. ولكن الأمر ينسحب على كل  
رئيس بلدية للقدس.

نحن نرى أن اليأس هو المسيطر في القصيدة. أجواء هذه القصيدة دفعت بالشاعرة اليسارية  
دالية رابيكوبيتش أن توجه لرئيس البلدية إيهود أولمرت رسالة شديدة اللهجة إثر عمليات  
هدم البيوت العربية في القدس العربية، وخاصة في حيّ سلوان، وقد جاء بها ما يلي: ...  
يؤلمني أنك رئيس بلدية القدس، عاصمة دولة إسرائيل، تلتخ احتراممي الذاتي اليهودي،  
عندما تقوم بهدم بيوت عربية في القدس بادعاء سخيف، بأنها قد بنيت مخالفة للقانون.  
فحتى الأتراك الذين حكموا البلاد، والذين لم يمتازوا بالحساسية لحقوق الإنسان، امتنعوا عن  
هدم بيت مسقوف. لقد بنيت البيوت العربية دون ترخيص، لأنه لا يوجد أمل ولو بقدر  
الخنصر للحصول على ترخيص .... والناس بحاجة إلى بيوت، حتى ولو كانوا عرباً. إنهم  
بحاجة إلى سقف، دونه لن تكون للإنسان طمأنينة، وكيان .... لقد حوّلت المدينة إلى  
تراب<sup>(29)</sup>

### سيّاح<sup>(30)</sup> يهودا عميحي

يقومون بزيارات تعزية إلينا  
يجلسون بياد وشيم بجديّة بجانب حائط المبكى  
ويضحكون من خلف ستائر ثقيلة في غرف الفنادق  
يلتقطون الصور مع أموات مهمين في قبر راحيل  
وفي قبر هرتسل وتلة التحموشيت

يكون على جمال شجاعة شبابنا  
ويرغبون بعناد فتياتنا  
ويعلقون ملابسهم الداخلية  
لتجف بسرعة  
في حمام أزرق وبارد  
ذات مرة جلست على درجات بجانب قلعة داوود، وألقيت السلتين  
الثقيلتين بجاني. مجموعة سياح وقفت هناك بجانب المرشد  
وكنت لهم نقطة صهيون. "أنتم ترون الرجل، ذلك الرجل  
مع السلال؟ قليلاً عن يمين رأسه يوجد قوس من العهد الروماني.  
قليلاً عن يمين رأسه". لكنه تحرك، هو تحرك". قلت لنفسى:  
الخلاص سيأتي فقط عندما سيقولون لهم: أنتم ترون هناك القوس  
من العهد الرومي؟ ليس مهماً: لكن بجانبه، قليلاً إلى اليسار  
وإلى الأسفل منه، يجلس إنسان اشترى فاكهة وخضاراً لبيته.  
السائح - إنسان يأتي ليرى.

نشرت هذه القصيدة في العام 1980. وتصف السياح الذين يأتون لزيارة الأماكن التاريخية والأثرية في مدينة القدس، حيث إنهم يهتمون بالماضي والتاريخ والتراث، أكثر من الاهتمام بالإنسان الحي<sup>(31)</sup>. يقول المتحدث: لا شك أن الأماكن الأثرية، والتاريخية، والذاكرة مهمة، لكن الإنسان، والحياة هما الأهم، ويجب أن يكون الإنسان في المركز وفي المقام الأول. يدعو المتحدث إلى عدم التوقف في الماضي والأقواس والحجارة والأموال، والرموز التاريخية، بل يجب الالتفات إلى الحاضر والمستقبل، وبناء غد أفضل للشعوب والأجيال الجديدة. حب الحياة يجب أن ينتصر على الماضي وعلى الذاكرة. إن "الشبان" أصدقاء الفتيات العنيدات يرقدون الآن في القبور في الجبل القريب نتيجة للحروب المتكررة التي اندلعت بسبب تقديس الحجارة، والرموز، والذاكرة، بدلاً من الحياة، والإنسان والمستقبل

المغاير. نعم، للأموات قدسيتهم، ولكن للحياة أيضاً قدسيتها، وللأحياء حق العيش. فهم لم يولدوا للموت وليكونوا وقوداً للحرب. إن البطولات لسباق الخيول، وليست لموت الشباب في الحروب. القصيدة مفعمة بالاحتجاج ضد الحرب والموت المجاني، ودعوة إلى السلام بين الشعوب، وخاصة للإسرائيلي وللفلسطيني. وعندما سيحل السلام ستفك القدس عقال الحزن والحُداد، وستغير ملامحها، وستصبح مدينة طبيعية، مدينة الأحياء لا مدينة الأموات والقبور، مدينة فرحة، وسيستعذب الإنسان العيش فيها. المتحدث يحذر من تجريد الإنسان وتحويله إلى "شيء". يجب ألا نفضل الماضي والتاريخ على الإنسان. إن التمسك بالماضي يفقدنا الحاضر والمستقبل والحياة. يجب ألا نفضل الحجر على الإنسان. إن حجارة العالم كلها لا توازي حياة إنسان واحد. وهنا كما نرى تفضيل الحجر على الإنسان، وترك الإنسان وحيداً يجرر همومه وأتاعبه وسلاله التي تحتوي على قوت بسيط لعائلته. إن الاستمرار في السير بهذا الاتجاه من الممكن أن يؤدي إلى فقدان الشعب وبقاء الحجارة الجلمود.

### القدس<sup>(32)</sup> يهودا عميحي

على سطح في المدينة العتيقة

غسيل مضاء بالضوء الأخير من النهار

شرشف أبيض لعدوة

منشفة لعدو

لينشف بها عرق جبينه

وفي سماء المدينة العتيقة

طائرة من ورق

وفي طرف الخيط

ولد

لم أره

بسبب الجدار

أطلقنا (نحن) أعلاماً كثيرة

أطلقوا (هم) أعلاماً كثيرة  
لكي نطن أنهم فرحون  
لكي يظنوا أننا فرحون

كتب عميحاي هذه القصيدة قبل حرب الأيام الستة 1967، حينما كانت المدينة مقسمة بين الأردن وإسرائيل. يرى المتحدث بالطرف الآخر العدو "إنساناً" مثله وموازياً له. لديه همومه اليومية، وأعماله، وأحلامه وعائلته. إنّ تنشيف العرق يدلّ على شقاء الآخر. المتحدث ضدّ السور الفاصل، الذي يفرّق بين البشر. السور سور سياسي وليس طبيعياً، وليس بمقدوره محو الآخر من الوجود. السور إشارة إلى العداة الذي صنعتها الدول والسياسات، وهو يخفي شقاء الأنا وشقاء الآخر. إن السور الفاصل بين الطرفين لم يفقد أيّاً منهما إنسانيته. المتحدث يشعر ويعترف بوجود الآخر، بالرغم من عدم لقاءه ومعرفته وجهها إلى وجهه، كما أنه لم يقرم الآخر، ولم يجرده من إنسانيته، في حين أنّ دولته ترى بالآخر عدواً. الآخر يمارس الأعمال نفسها التي يمارسها المتحدث من غسل الملابس واللعب بطائرة من ورق. الآخر يسكن المدينة القديمة، وهذا للتدليل على قدّمه في المكان. القصيدة تبرز تماثل المتكلم وتعاطفه مع الآخر، بالرغم من القطيعة بين الطرفين. نعم، الحرب باستطاعتها الفصل بين البشر، لكن ليس بمقدورها تجريد الإنسان من إنسانيته وأخلاقياته وتحويله إلى إنسان مفرغ، إلى شيء، جسد بلا روح. إنّ إطلاق الأعلام من قِبَل الطرفين إشارة إلى التّوق إلى السلام والمصالحة، ورؤية الآخر وجهها إلى وجهه. إنّ السياسة الخائطة تجعل حياة الدّات والآخر شاقّة، مفرغة من المتعة. وعليه، فإنّ القصيدة إنسانية تدعو إلى أخوة الشعوب.

الشاعرة مايه بوجرانو: في قصيدتها "نتياهو نتياهو، أبداً لن تُقسّم

القدس؟<sup>(33)</sup>

نتياهو نتياهو

أبداً لن تُقسّم القدس؟

القدس لن تُقسّم؟

"لن أسمح بتقسيم القدس -

لن أقسمها"

وقال الرب نَحمان اسمع: لا يوجد قلب تام أكثر من قلب مكسور

والقدس هي قلب الواقع

واقع زائد بما مثل كل المدن المتنازع عليها

والواقع مجزأ كل الوقت

كجسد حي أعضاؤه

والأجزاء - يجب ملاءمتها وقبرها

يجب إدخال غضروف بركة

الغضروف - هذا يجب عليك أن تجده، أن تُنتجه

أن تجد لكل كسر وكسر

تتياهو تتياهو

المتحدث يسخر من تصريحات السياسيين الإسرائيليين، وخاصة تلك التصريحات والشعارات التي يُصرِّح بها السياسيون قبل الانتخابات، والتي لا تثبت على أرض الواقع، وأن الكثير منها جوفاء لا رصيد لها. ومن بين هؤلاء تتياهو نفسه. فهؤلاء يصرِّحون بكثرة وأصيلا بَعْدَم تقسيم القدس. وكان من الأجدر بهم أن يقترحوا حلولاً عقلانية، وبناءة، تكون مقبولة من الطرف الفلسطيني أيضاً، فالإنسان لا يعقد السلام مع نفسه، بل مع الطرف الآخر للصراع. وفي نظر المتحدث، فالقدس كالجسد الجريح ينزف دما. ويوجه المتحدث تتياهو وغيره إلى أقوال حكماء اليهود القدامى. أما نحن فنوجّه إلى قصيدة يهودا عميحاوي الآتية:

في المكان الذي به نحن صادقون<sup>(34)</sup>

لن نثبت أبداً

زهور الربيع

المكان الذي نحن به صادقون

هو قاس ومُدّوس .....

لا تكن صادقاً، كن ذكياً، كم هو صحيح.

كم هو صادق الشاعر يهودا عميحاى. إنه يريد إخراج الإنسان من داخل العلبة ليفكر بطريقة عقلانية ومنطقية.

"على سطح دير نوتردام" (35)

يتسحاك شاليف (1919-1992)

كُتِبَ يتسحاك شاليف هذه القصيدة في العام 1966، حينما كانت المدينة مقسمة. ويتسحاك شاليف معروف بانتمائه اليميني، على العكس من ابنه الأديب المعروف مئير شاليف، يساري النزعة. يقع دير نوتردام في الجزء الغربي من القدس مقابل سور المدينة وعلى بُعد أمتار منه، ومحاذياً لمنطقة "الحرام". وفي هذا الدير سكن أيضاً يهود قادمون جدد، وغادروه بعد حرب العام 1967. هذه القصيدة تصف حال المدينة حين كانت مقسمة.

سطح دير نوتردام كان لي كُنْبُو (جبل في الأردن)

أرى المَقْدَّسات ولكن إليها لا أصل

نقاط تَبَيَّضَ هناك في جبل الزيتون

حجارة قبور أخي هي، من تحتها الأموات

خمس سنوات لم تُزر

لا صلاة ولا باقة ورد في بيتهم.

والكل قريب ... أرسل يدك وخذهم

باب الخليل وباب العمود.

والكل بعيد، كحلّم يَمُرُّ

هَبَطَتْ من السطح، وليس موجوداً أكثر...

فقط تردّات بشروش أصابع

فقط اصطكاك أسنان وضغط دموع....

يصف المتحدث شعور الإنسان اليهودي عندما كانت القدس مقسمة. فالمتحدث يأتي إلى دير نوتردام، ويصعد إلى السطوح العالية، ليتمكن من رؤية الأماكن اليهودية المقدسة والمقابر الكائنة في الشطر الشرقي من القدس الواقعة تحت السيادة العربية. فهو يراها، ولكن لا يصلها. وهذا الوضع يُذكره بالنبي موسى عندما وقف في جبل نبو في الأردن، فمن هناك رأى البلاد ولكنه لم يدخلها. والفرق بين الأمرين هو أن النبي موسى لم يدخل البلاد بأمر الله، أما المتحدث، فلا يتمكن من الدخول بسبب العرب. فالمتحدث يعلي نبرة الشعور بالاضطهاد المعروفة عند اليهود.

### قصيدة "باب الواد"<sup>(36)</sup>

حاييم جوري (1923 - )

هنا أمرّ أنا، منتصبا بجانب الحجر،  
شارع أسفلت أسود، صخور وسلاسل.  
مساء يهبط ببطء، رياح بحر تهب  
ضوء التّجم الأول من جهة بيت محسير.  
باب الواد

رجاء اذكر للأبد أسماءنا  
قوافل اقتحمت في طريقها إلى المدينة  
في جوانب الطريق ملقاة أمواتنا.  
هيكل الحديد صامت، مثل رفيقي.  
هنا غلّي زفت ورضاص تحت الشمس....  
باب الواد

هذه القصيدة من أشهر القصائد التي كُتبت حول حرب العام 1948. وهي محفورة عميقا في الذاكرة الإسرائيلية، وقد لُحنت مرّات عديدة. تصف القصيدة إحدى المعارك الطاحنة التي وقعت في المداخل الغربية لمدينة القدس في حرب العام 1948، حيث قُتل العديد من العرب واليهود. يصف المتحدث، وعلى الأرجح هو الشاعر نفسه الذي اشترك في



المعركة، هول الحرب حيث الجثث والمدرعات المحروقة الملقاة على جوانب الطرقات. إنّ ما يريد قوله المتحدث، هو أنّ القدس أُخذت بالدمّ، حيث كانت هناك مقاومة فلسطينية مستميتة للدفاع عن مدينة القدس.

### الخاتمة

إنّ الصفة الغالبة على الشعر العبري الذي كُتب في الخارج قبل العام 1948 هي الحنين والرغبة في العودة إلى فلسطين، والتركيز على مطاردة الأغيار لليهود. وقد استمد الشاعر اليهودي معلوماته ومصطلحاته عن القدس من الوثائق الدينية والتاريخية لإبراز الحق التاريخي. إنّ الحنين مشوب بحلاوة المستقبل. أما في الشعر الذي كُتب بعد العام 1948، فنجد أن الشاعر يصطدم بصخرة الواقع، ويصف القدس عن كتب، كما يراها بأمّ عينه دون وسيط. فهي جريحة، وممزقة، وتتصاعد منها رائحة البنزين والحرائق، وتنعق بها الغربان.

### الهوامش

- 1/ سفر الخروج، 32، 15.
- 2/ امنون، رامون. (2003). مدينة في أزمة. ص 66.
- 3/ سفر التكوين، 1، 4.
- 4/ سفر التكوين، 14، 18-20.
- 5/ امنون، رامون. (2003). مدينة في أزمة. ص 66.
- 6/ سفر المزامير، فقرة 137.
- ينظر أيضا: يوسف ، كلاوزنر (ت ش ي د). هستوريا شل هبايت هسني، ص 65-66 .
- 7/ الموسوعة العبرية ج 20، ص 223-359. وينظر أيضا: الموسوعة التوراتية.
- 8/ صحيفة دابار 90.04.1954 امنون هوروييتس " خمس نساء يبيلو يتحدثن.
- 9/ سفر المزامير.
- 10/ ليته ، برتس. (2000). إيتيكه وإستيتيكه، ص 6. الموسوعة العبرية
- 11/ يهودا، هليفي. (2007). شعر (شيريم). ص 260 .
- 12/ دافيد، بنبنشتي. (1983). من سالونيك إلى القدس. ص 119.
- 13/ يهودا، هليفي. (2007). شعر (شيريم). ص 277.
- 14/ التلموذ البابلي: كتوبات، 111، 71

- 15/ حاييم نحمان، بيالك (2004). الشعر (هشديم). ص 15-17. ترجمها للعربية راشد، حسين (1966). حاييم بيالك - نخبة من شعره ونثره.
- 16/ محمود درويش. (1989). الديوان. ص 398-399.
- 17/ نوعمي، شيمر. (د.ت). كل القصائد. ص 40. ونوعمي، شيمر. (2003). علامات طريق (سيمني ديرخ).
- 18/ عاموس، أرن: "الذهب المسروق" (هزهاب هجنوب).
- 19/ حاييم، بئير. (1983). عصفور الحجر. ص 72. حول هذه القصيدة ينظر: عاموس، أرن: يديعوت أحرنونوت، 06.05.2005، وأيضاً: هآرتس، 13.05.2005. حول القدس في شعر عميحاى ينظر: د. ليلي أورباخ: ميبوي إفشرويوت شل عيتسوب يروشلايم بسفروت. بوغز، عرفلي. (2004). فرحة المقارنة. حول القدس في الشعر العبري الحديث ينظر: حاييم، تورن. (1951). القدس في شعر الأجيال.
- 20/ بوغز، عرفلي. (2010). صفوف المتمردين (شوروت همورديم). ص 286.
- 21/ المصدر نفسه، ص 289.
- 22/ جرشون، شاكيد. "صرخته المترتبة" (تساعكتو هميويكت). يديعوت أحرنونوت، 06.10.2000.
- 23/ بوغز، عرفلي. (1995). "الزهور والمزهريّة - شعر عميحاى" (هبرحيم وهأجرطال - شيرات عميحاى). ص 196 - 199.
- 24/ بوغز، عرفلي. (2010). صفوف المتمردين (شوروت همورديم).
- 25/ يهودا، عميحاى. (2003). خلف كل هذا تستتر سعادة كبيرة. (مأحوري كل زي مستتير أوشر جدول). ج 1، ص 25. حول هذه القصيدة ينظر ايضاً: راحيل، وايسبرود. (2002). بالأيام الأخرى (بيميم هأحريم). ص 345. بوغز، عرفلي. (1986). الورد والمزهريّة (هبرحيم وهأجرطال)، ص 46.
- 26/ دوف، سدان. (1950). شعر نفتالي هرتس اونجر. استريت، بلتسان. (2009). هتكفا-الماضي، الحاضر، المستقبل (عبار، هوفيه، عتيد). ص 10.
- 27/ Bloom, Cocil, Naftali Imber and Hatikvah. Midstream: a quarterly Jewish review, Vol.58, no.2 (2012) كل شعر نفتالي هيرس ايمبر (كل (1950). دوف، سدان. شيري نفتالي هيرس ايمبر). اورن، رام. (2012). نفس تتوق (نيفش هوميا).
- 28/ حاييم، بئير. (1983). عصفور الحجر (تسيبور هثين). ص 18.

- 29/ دالية، كربر: "جاءت وذهبت" ( باءه وهلخا)، هآرتس 18.08.06 أيضا موقع هآرتس.
- 30/ يهودا، عميحاى. (2003). خلف كل هذا تستتر سعادة كبيرة. ج3، ص.348
- 31/ حول القدس في شعر عميحاى ينظر: ليلي، أورياخ. ميبوي إفشرويوت شل عيتسوب يروشلايم بسفروت. ليئه، بيرتس. (2000). ايتيكة واستيتيكة" بيعيتيوت بهورأت شيري يروشلايم شكتبوا مشورريم لو يهوديم". معوف ومعاسيه 6، ص 13-32 .
- 32/ حايم، بئر (1983). عصفور الحجر (تسيبور هثيين). ص 81 .
- 33/ مجلة 77. عدد يناير 2008.
- 34/ يهودا، عميحاى. (1977). شعر 1948-1962 .
- 35/ يتسحاك، شاليب. (1983). عصفور الحجر. ص 82 .
- 36/ حايم، بئر. (1983). عصفور الحجر. ص 65.